

## الكونتس فالتين دي سان بوا

للأستاذ كامل يوسف

جرى قلبي في كلتي عن المرحوم ولي الدين بك يكن بذكر الكونتس فالتين دي سان بوا ، وبما أنها من الدوحة الشاعرة التي أنجبت لامرئين شاعر الجمال والحب ، ومؤلف عشرات الكتب التي تفيض بالشاعرية والخيال الخصب ، أحييت أن أكتب كلمة عنها لتعريف المصريين بها

فهي حفيذة لامرئين ، أو على الأصح ابنة ابنة أخته ، ورثت من خال أمها الروح الشاعرية وسمو الخيال ، فكانت شاعرة من الطبقة الأولى لا يشق لها غبار. ويمتاز شعرها بالروح الصوفية . وهو ككل شعر صوفي مبهم يحتاج للشرح والتعليق حتى يدرك القارئ كنهه . وقد بدت هذه النزعة في ديوانها الشعرى الذي اشتهرت به ؛ ويكاد يلمس القارئ لهذا الديوان روح ينتش في كتابه « هكذا قال زرادشت » ، بل إنه يسير على نمطه في الأسلوب. وقد أبدت رأيي هذا في عام سنة ١٩٢٨ للأديب الذين كانوا يحيطون بها فاق منهم التأيد ، لأن الكونتس كانت تمجّب بنيتشه كشاعر فذ ، خصوصاً في سفره « هكذا قال زرادشت » وكانت لا ترى فيه فيلسوفاً له مدرسة فلسفية خاصة وهذه الروح الصوفية هي التي حدثت بها إلى الإقامة بمصر ، فهي زوجة وزير من وزراء فرنسا. وزارات أسبانيا ، وشاهدت هناك جامع قرطبة ، فأعجبت بالفن العربي ، واتخذ هذا الإعجاب

في دائرة الانتاج الأدبي حوالى منتصف القرن الماضي حين ثبت أن الحاجة ماسة فعلاً إلى ضرورة الاستمرار في هذه الناحية من نواحي العلم والأبحاث ، وإني لا أتردد في القول بأن كل الفضل يرجع إلى المنشرفين الثلاثة ميكيلي آماري وجرارنا ديواسكولي وانيازو جويدي في كثير مما شرع فيه ومما تم من التقدم وإيقاظ الحمم في هذه الفترة . كما أنه كان من أسباب إنجاح هذه الحركة العلمية الجديدة المساعي القيمة التي قام بها هؤلاء الأنصار الثلاثة الذين استوفت أبحاثهم ودراساتهم وانتشرت في العالم أجمع

دكتور

أومبرتو ميرييتانو

صورة فعلية فأرادت أن تلمس حياة الشرق وتختبر روحه ، فتركت فرنسا بما فيها من مدنية وجاءت إلى مصر باعتبارها المركز الروحي للبلاد الشرقية ، وكان هذا الولع بروح الشرق التصوفة دافعاً لها على إصدار مجلتها الشهرية « فينكس » للدفاع عن أمم الشرق قاطبة . وقد أنفقت على هذه المجلة مالا وفيراً ، وظلت أكثر من عامين وهي تسخر قلمها البديع لهذه الغاية السامية ولكنها لم تستطع الاستمرار في إصدار مجلتها لنضوب مواردها من أملاكها بمقاطعة سان بوا بفرنسا ومن ربح مؤلفاتها الكثيرة ، وذلك عند هبوط سعر الفرنك في سنة ١٩٢٨

وقد بدت الروح الصوفية عند الكونتس دي سان بوا في أجيل صورها عند ما لجأت إلى أسلوب سبكر للتعبير عن المعاني الباطنية للحقائق الظاهرة ، وقد أطلقت على هذا الأسلوب لفظ « أيتا كوري » وقد جاهدت كثيراً في نشره في فرنسا وأمريكا وأنفقت المال في سبيل تقريبه للأذهان ، ولكن غموضه كان عقبة كأداء في سبيل ذبوعه . وقد نشرت كثيراً من الرسوم بريشتها لا يضاح غاياتها ، ولكن العالم الأدبي لم يفهم ما تريده الشاعرة من هذه الحركة الصوفية . وقد حاولت أنا وصديقي الشاعر فولاد يكن أثناء اتصالنا بها بحلول أن نفهم هذه الحركة كما يجب ، فلم نخرج منها بأكثر من أنها نوع من الرمزية في الشعر والرسم ترمي إلى إبراز المعاني الباطنة لظواهر الأشياء . ولما رأيت عدم استعداد العقول لفهم نظريتها — التي تقول إن فتاني الاغريق كانوا يعملون بها — أنجبت للدفاع عن بلاد الشرق المهضومة الحق ...

وفد أقامت الكونتس دي سان بوا بجلوان بقصر محمد بك أنسي بشارع سيد احمد باشا . وكانت دارها ندوة للأدباء زارها فيها الدكتور ماردريس المستشرق الفرنسي المروف وقدم لها ترجمته للفرنسية لكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتب الاهداء بالعربية : « هدية من الشيخ الماردريسي » . وكان أول من اتصل بها من المصريين الشاعر الكبير فولاد يكن ، وحدث ذلك على أثر زواجه من مدام (س) الفرنسية (وهي زوجة أحد كبار كتاب فرنسا) التي استقدمتها وزارة المعارف لتتولى نظارة مدرسة بنات الأسر الراقية . ومع أن هذا الزواج لم يطل فقد كان سبباً في تعرف الأستاذ فولاد يكن بالكونتس ؛ وقد رأت فيه الشاعرة مواهب شعرية فني عن ما تبتلى زاهر في عالم الشعر فاحتضنته .

وجعلته كائناً ، وأقام بمنزلها بحلوان يأكل ويشرب ويتبرهن  
معهما كأنه فرد من أسرتهما . وقد أنتجت هذه الصداقة ثمارها إذ  
قدمته لدور النشر الفرنسية فنشرت له بعض مؤلفاته الشعرية  
والنثرية مقدمة بقلمها البليغ

وكان يجتمع في دارها الأدباء . وقد قدمني فولاد يكن إليها  
كأديب ناشئ مهتم بالأدب السكسوني وخصوصاً فن برنارد شو  
الذي كنت أؤلف فيه في ذلك الوقت كتاباً عن آرائه في الحياة  
والأدب والفن والسياسة . وكانت تعرف عن هذا الاهتمام فكانت  
تدعوني « برنارد شو الصغير » . وقد قدمني في إحدى حفلاتها  
الأسبوعية لأحدى زوجات سلطان تركيا المخلوع التي قدمت  
إلى مصر وألفت بنفسها في النيل عند قصر النيل . وذات  
هذه الأميرة على غاية من جمال الخلق والخلق ، تركت في نفسي أثراً  
لا يمحي ، إذ تمثل لدى في هذه اللحظة عظيمة الملك ممثلة في شخص  
هذه السيدة الكريمة ؛ وهي في رزائنها وصمتها أبلغ منها وهي في  
أبهة العرش . وقد حدث أن ثارت بين أدبيين مناقشة عن أدب  
هوجو ، وكان أحدهما يرى أنه فن مزخرف أجوف ، وكان يمارسه  
الآخر بأنه أدب سي ، وأبدت رأيي في هذه المناقشة بأسلوب  
الفرنسي العاجز ، وكنت وقتئذ لم ينضج علمي بالفرنسية لانصرافي  
للأدب الإنجليزي ، فسخر من أسلوب صديقي فولاد يكن ، ونمت  
بأنه فرنسي صيني ، ولم ينجني من حملته على إلا السلطانة ، فقد  
عظفت على بأن قالت : إن أسلوب كإنسان لم يدرس الفرنسية  
بالمدراس لا بأس به . وقد حدث لها هذا الموقف الذي خلصني  
من المأزق الذي تورطت فيه

وتشاء الصدفة أن أقرأ إبان تعرفي بالشاعرة الكبيرة قصة  
« روفائيل » ترجمة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، وأردت أن  
أذكر لها اهتماماتي بمصر بأدب جدها لأمريتين ، فذكرت لها أنني أقرأ  
ترجمة عربية لروفايل تكاد في بلاغتها أن تكون صورة ثانية للأصل  
الفرنسي ؛ وذكر الأستاذ فولاد يكن تمكن الأستاذ الزيات من  
لغة العرب والفرنسيين مما جعل الترجمة تحفة من التحف في أدبنا  
المصري الحديث ، وقد أعجبت الكونتس بذلك كثيراً . ولكنها  
كانت لا ترى في « روفائيل » العمل الفني الذي يجب أن يتخلد به  
اسم جدها بمصر ، وقالت في ذلك إنه مؤلف بسوده الاغراق في  
المبالغات مما جعله في مرتبة أقل من غيره من المؤلفات الأخرى ،  
رأى الدكتور منصور بك في مقدمته لترجمة الأستاذ  
الزيات من أن الرأى ، وأن ذلك قد دعى لأمريتين نفسه إلى إعادة

النظر في مؤلفه هذا في الطبقات التالية فأبعد عنه بعض المبالغات  
الماطية التي أخذها عليه النقاد

والكونتس دى سان بوا رسامة ماهرة ترسم بالزيت وتحفر  
على الخشب ويشوب رسومها الروح الصوفية ، وهي تزين دارها  
بهذه الرسوم . وقد بلغت براعتها في الرسم أنها كانت تحفر صورها  
على الخشب فكانت ملامحها تنطق كأنها رسم فوتوغرافي . وقد  
انصرفت في السنين الأخيرة إلى التحرير الصحفي وتولت رئاسة  
تحرير أممات الصحف الفرنسية بمصر . ويمتاز أسلوبها الفرنسي  
بالجزالة الكلاسيكية ، وقد اكتسبت أثناء إقامتها بمصر صداقة  
الشخصيات البارزة في المجتمع المصري

وأختم كلمتي عنها بما تبديه من عطف على الشرقيين ، فقد  
كانت تمشي حفلات العرب الذين يعيشون في الخيام بقرية حلوان  
البلد الواقعة على النيل في الليالي القمرية ؛ وكانت تعجب بسمهم ؛  
وكانت تنزع على أطفالهم النقود ، لذلك كانوا يحفظون لها هذا الجليل .  
وقد أعربوا عن عرفانهم لهذا الجليل فأهدوا إليها كتاباً من كتابهم  
الفخمة ، أطلقت عليه اسم « بطل » وكان هذا الكتاب موضع  
عنايتها ، وكانت توكل إليه حراسة دارها ، وعند ما تركت حلوان  
وأقامت في إحدى فنادق القاهرة الفخمة أخذته معها ، وكانت  
تفخر به على الدوام لأنه (عربون) مودة لا يصح التفريط فيه

فائل يرسف

عضو بالمعهد الفلنكي البريطاني

حاشية : بأسف الكتاب لدم إيراد أمثلة من شعر الكونتس  
ورسومها لأن مكتبته في طريقها إلى كرم حمادة حيث سيحل ترحاله .

ظهر مرثياً

الح من الخلود

ربوارة العاطفة السامية والوهرارة الصادق

للشاعر الفذ مصطفى علي عبد الرحمن

رسوم فنية من ريشة الرسام بدر أمين

يطلب من مكتبة فكتوريا الشهيرة بالإسكندرية

أو من مؤلفه بمعمل الفزاز